اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد
بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}
شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها
موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}
من الدراري المضيئة
{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض،
وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد
سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية
إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى
في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال:
قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟
قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها
وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد
السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع/ ٥٠٤٩
التاريخ: ١٤/٨/٢٠٢٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ١٢/٢٨ /٢٠٢١ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوراق.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القصر الأبيض – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦)
السنة الثالثة المجلد الثالث
ربيع الأول ١٤٤٦ هـ أيلول ٢٠٢٥م

العدد (١٥) السنة الثالثة ذي الحجة ١٤٤٦ هـ حزيران ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات
رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع
مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني
هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش
هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ – أيلول ٢٠٢٥ م

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٦) السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٤٦ هـ - أيلول ٢٠٢٥ م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ معدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، واذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٦) المجلد الثالث

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	التسويق السياسي للانتخابات في العصر الرقمي	أ.د عواطف علي خريسان زهور عبد الصاحب مسلم	٨
٢	العلاقة بين العبء الذاتي والدعم الاجتماعي المدرك لدى أمهات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة	آيات محسن جابر أ.د. ستار جبار غانم	٢٦
٣	التوجيه التداوليّ للمفاهيم الأساسية لنظرية الأفعال الكلاميّة في النّص القرآنيّ	الباحث: رعد محسن عبد أ.د. نعمة دهش فرحان	٤٨
٤	مراتب الصناعات عند إخوان الصفا	الباحثة: دينا فاروق جاسم أ. م. د. قيس فالح ياسين	٦٦
٥	الأمة والوطن في الفقه الإسلامي	آيات محمد كاظم أ. م. د. منذر عبيس متعب	٨٢
٦	السلوك العدائي ضد المرأة في محافظة بابل ١٩٩٣-٢٠٢٠ (دراسة اجتماعية تاريخية)	م. د. أرشد حمزة حسن أ.د . مشتاق طالب حسين	٩٨
٧	تمثلات الصمت في سلسلة أباييل (ملحمة الطين والنار)	م. د. دنيا فهيم عواد	١١٤
٨	العملات الرقمية ومدى تحقق مناط النقد فيها دراسة أصولية	م.د. ثمارة إبراهيم محسن	١٢٦
٩	An Investigative Study on the Impact of Classroom Discourse Interaction on Enhancing the Oral Performance of Iraqi EFL 5th Preparatory School Students	Asst. Prof. Dr. Husam Mohammed Kareem	١٤٢
١٠	النقد التاريخي وعلاقته بالنقد الحديث دراسة في مستويات التكامل المعرفي بين المنهجين	م. محمد حسن علي	١٦٦
١١	استراتيجيتي المكعب والتخيل وأثرهما في التحصيل الرياضي لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي	م.م. حسام كريم كاظم	١٨٤
١٢	قواعدُ التفسيرات تضمنها تفسيرأبي السعود-سورة الفاتحة أنموذجا-	الباحث: أمير حسن عبد علي	١٩٨
١٣	A Velarization Study inEnglish Language	Khuloud Waleed Majeed Mahmood	٢١٢
١٤	مركزية الوحي في علم الكلام الجديد: عبد الجبار الرفاعي أنموذجاً	م. م. منتظر كريم قاسم	٢٢٤
١٥	تراجم ومرويات اهل البيت وذريتهم (عليهم السلام)في كتاب (مختار مختصر تاريخ بغداد) لابن جزلة البغدادي (ت ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م)	م.م.أيسر عبد علي ناموس	٢٣٨
١٦	تحليل محتوى كتب الكيمياء للمرحلة المتوسطة على وفق مهارات التفكير المستقبلي	م. وسن موحان محسن حمزة	٢٥٠
١٧	أحكام العدد والمعدود وأغراضهما البلاغية	م. د. سنان حامد كامل	٢٦٤
١٨	دور المراكز العلمية في نشر الوعي الفكري في بغداد من القرن الخامس الى السادس الهجري	م. م. أحمد جويد عبد علي	٢٨٠
١٩	تراجم أشهر علماء مدينة اسكاف خلال العصر العباسي	م. م. فراس محمد جاسم	٢٩٨
٢٠	السياسة الوقفية في العصر العباسي: دراسة تاريخية في الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للمؤسسات الوقفية	الباحث: محمد سادر حمدان	٣١٠
٢١	وسائل تربية الطفل من خلال القرآن الكريم وألسنه النبوية	الباحث: محمد مهدي شهاب	٣٢٢
٢٢	أثر الذكاء الاصطناعي في مهارات التفكير الابداعي لدى طلبة الصف الثاني المتوسط في مادة التربية الفنية	الباحث: حيدر صبري عبد	٣٣٤
٢٣	المرأة والآخر في الرواية الجديدة:قهر مقاومة واكتشاف للذات	الباحث:حسنين عبد طارش	٣٤٦
٢٤	دستورية تمديد عمل المجالس التشريعية «دراسة مقارنة»	م. م. حسين جاسم شاتي	٣٦٦

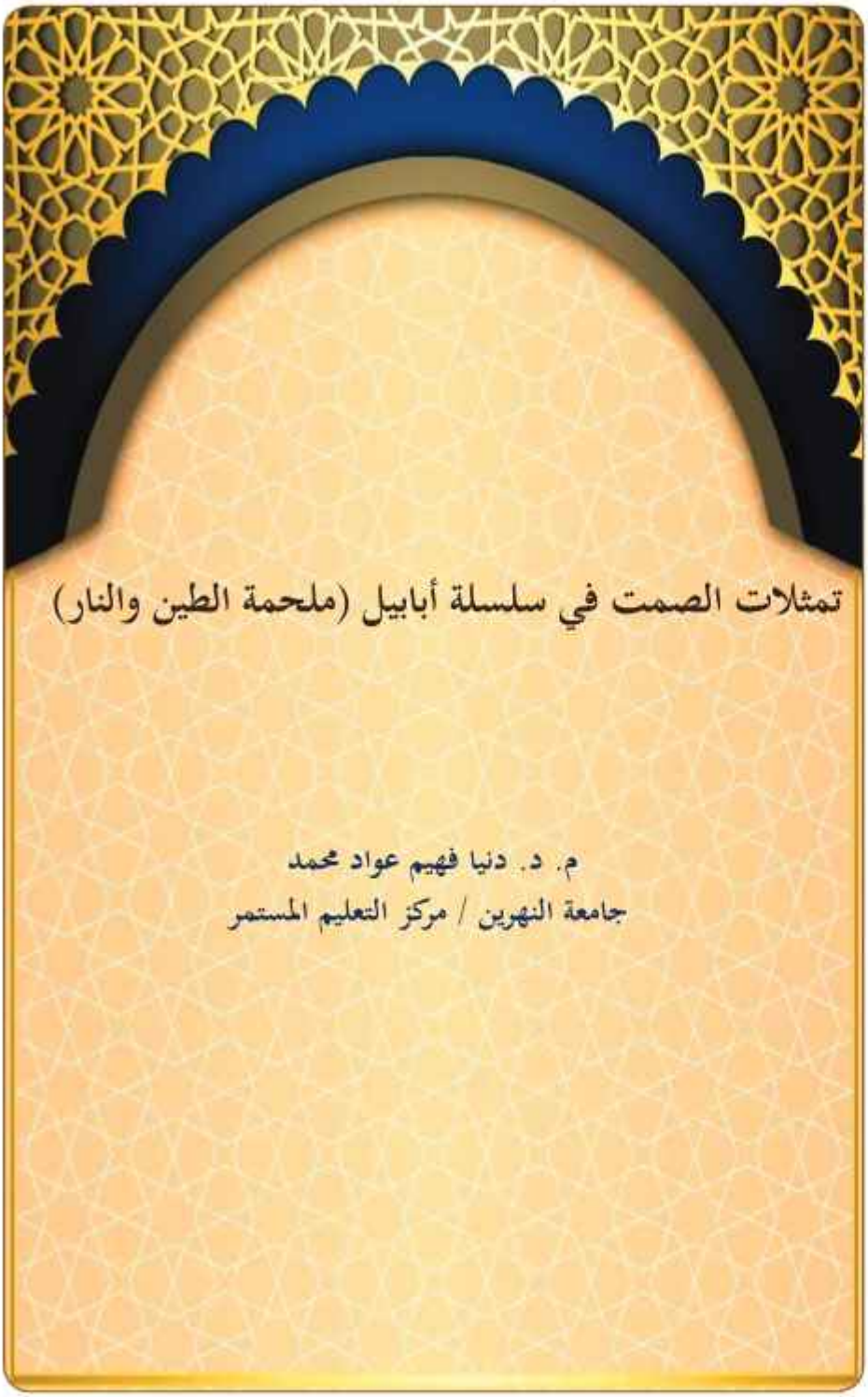

تمثلات الصمت في سلسلة أبابيل (ملحمة الطين والنار)

م. د. دنيا فهيم عواد محمد
جامعة النهرين / مركز التعليم المستمر

المستخلص :

يدرس البحث تمثلات الصمت بوصفه مكونًا سرديًا ودلاليًا فاعلًا في سلسلة «أبابيل: ملحمة الطين والنار» للكاتب أحمد آل حمدان.

وتسعى الدراسة للتعرف على أنماط الصمت ووظائفه النفسية والجمالية في بنية النص السردية منطلقة من كون الصمت ليس مجرد غياب للكلام، بل آلية تعبيرية تحمل أبعادًا تأويلية شعورية وفنية .

قسمت الدراسة على مدخل نظري يعرّف بمفهوم الصمت في الدراسات الأدبية، القديمة والحديثة. وتعريف بالسلسلة، ثم انتقلت إلى الجانب التطبيقي بتحليل تمثلات الصمت في الروايات من خلال محورين أساسيين:

أولًا: الصمت المقصود، وما فيه من نقص بنائي يتمثل بالنقص الخطي، والزماني، والمكاني.

– الوصف الصمتي، إذا يمثل استبدال اللغة بالصمت الجمالي، خاصة في تصوير الطبيعة والمعمار والأشكال البشرية.

– صمت الصوت، ويشمل سكوت الشخصيات والراوي والمروي عنه كأداة لخلق التوتر والتأمل.

ثانيًا: الصمت اللامقصود، ويتناول الفجوات غير المفسرة ، اذ يُترك القارئ أمام غموض لا يُحسم داخل النص. ويتناول كذلك صمت الرهبة أو الصدمة، بوصفه استجابة شعورية تلقائية تقف الشخصية أمامها عاجزة عن النطق تحت وطأة الدهشة أو الخوف أو الفقد.

الكلمات المفتاحية :الصمت المقصود ، الصمت اللامقصود ، الفجوات، النقص البنائي، الشخصيات، الزمان، المكان.

Abstract:

The research investigates the representations of silence as an active narrative and semantic component in the series «Ababeel: The Epic of Clay and Fire» by the writer Ahmad Al-Hamdan. The study aims to identify the patterns of silence and its psychological and aesthetic functions in the narrative structure of the text, starting from the premise that silence is not merely the absence of speech, but an expressive mechanism that carries interpretative, emotional, and artistic dimensions. The study is divided into a theoretical introduction that defines the concept of silence in literary studies, both ancient and modern, followed by an introduction to the series. It then transitions to the applied aspect by analyzing the representations of silence in the novels through two main axes: First: intentional silence, which involves structural deficiencies manifested by gaps in narrative, temporal, and spatial dimensions. Silent description, then, represents the substitution of language with aesthetic silence, especially in depicting nature, architecture, and human forms. The silence of sound includes the quietness of characters, the narrator, and the narrative subject as a tool for creating tension and contemplation. Second: unintentional silence, which addresses unexplained gaps, leaving the reader in front of an unresolved ambiguity within the text.

It also discusses silence of awe or shock as an automatic emotional response that renders the character unable to speak under the overwhelming weight of astonishment, fear, or loss.

Keywords: intentional silence, unintentional silence, gaps, structural deficiency, characters, time, place.

مدخل نظري:

الصمت في الأعمال الأدبية أداةٌ استعملت لإذكاء المشاعر، وزيادة التشويق أو الصراع الدرامي وإبراز تطور الشخصية ونموّها. فللصمت الأولوية ولا سيما في الروايات الأدبية إذ يكون التأمل الداخلي والفراغات المتعمدة أكثر تعبيرًا وبلاغة من الكلمات في كثير من الأحيان.

وللصمت تمثلات لا يخلو منها عمل أدبي ، وتتمثل في الصور أو الأبعاد أو الأوجه المختلفة التي يمثلها داخل السياقات الأدبية والثقافية وما تحمله من دلالات رمزية أو نفسية أو اجتماعية.

اهتم دارسو الأدب قديما وحديثا ببيان أهمية السكوت وتوضيح بلاغات الصمت وأولوه عناية كبيرة لأهميته في البيان والبلاغة، فهو باب البلاغة وقطب الرحى فيها وعليه مدار الإعجاز، لاسيما في كلام الله ، فكما يرون أن ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق .

فعلماء البلاغة العربية يميلون أكثر إلى السكوت و إلى بلاغة الإيجاز، فمثلا «ابن المقفع عد الصمت من البلاغة مقرا بقدرته على الإبانة والتعبير عن المقاصد، فقد قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ...).

والجاحظ يفضل الصمت في مقامه: « واعلم أن الصمت في موضعه ربما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه وعند إصابة فرصته» .

«فأدبية الصمت هي في صميم أدبية الكلام وإن اختلفت عنه في الماهية وسياق الفعلية اللغوية، لأن الكلام هو في الواقع من الصمت وإليه شأن صلة المعنى باللامعنى وبالصمت يضحى الكلام قادراً بالفعل على التكلم، شأن الفراغات الصامتة في العمل الموسيقي» .

مقدمة عن السلسلة:

تُعدّ سلسلة أبابيل (ملحمة الطين والنار) للروائي السعودي أحمد آل حمدان من اشهر ما أُنتج عربيًا في أدب الفانتازيا الحديثة، وتعتمد الفضاءات الخياليّة الخارقة للمألوف أو للطبيعة إذ استطاع الكاتب أن يبني عالمًا تخييليًا معتمدا البنية الملحمية ذات الأبعاد المختلفة (أسطورية ودينية وإنسانية). تكونت السلسلة من أربع روايات متعاقبة: أبابيل، الجساسة، جومانا، وسجّيل، فيما لا يزال الجزء الخامس المرتقب لم يُعلن عنه إلى الآن لذا فان الحبكة الكلية للسلسلة لم تكتمل، دون تأثير على عنوان دراستنا.

من أبرز ما يميز هذا العمل السردي ضخامة عوالمه وتنوّع الشخصيات بين الإنس والجن والشخصيات الخيالية وتعقيد علاقاتها، إذ تقوم السلسلة على أحداث تعتمد الانتقال بين عوالم متعددة، وتقوم على جدلية الخير والشر، الصراعات على السلطة، وقضايا الهوية والانتماء.

أما من ناحية التقنيات المعتمدة فالسلسلة تحفل بتقنيات فنية متعددة، منها السرد المتعدد الأصوات، وتداخل الأزمنة، واعتماد الوصف الرمزي في تشكيل الشخصيات والأماكن.

يبرز توظيف الكاتب لآلية الصمت بمستوياته المختلفة في البناء السردي للنص الروائي، سواء عبر سكوت الشخصيات، أو من خلال الفجوات السردية التي تفتح للمتلقي باب التأويل، فالصمت في السلسلة أداة تعبير وتكثيف دلالي داخل نسيج النص.

تمثلات الصمت في السلسلة :

الصمت في العمل الأدبي يحضر بوصفه أداة تعبيرية حافلة بالدلالة، لا يقل أثرها عن أثر اللغة المنطوقة أو المكتوبة. فالصمت لا يعد مجرد غياب للكلام، بل هو عنصر فاعل في بناء المعنى، وتوجيه الإيقاع السردي أمام القارئ.

وتُظهر سلسلة أبابيل توظيفا واعيا للصمت، يتوزع على مساحات النص بصيغ متعددة بين مقصود وغير مقصود، ومباشر وغير مباشر، ما يمنح النص طابعاً جمالياً وفنياً خاصاً.

وقبل الولوج في أنواع الصمت في سلسلتنا يمكننا الإشارة والاستفادة من دراسة (فان دان هيفل) إذ تعد من الدراسات المهمة التي سعت إلى تحليل الصمت لا بوصفه انقطاعاً في الكلام وحسب، بل كبنية دلالية ووظيفية داخل النص. وقد اعتمد هيفل في تقسيمه للصمت على العلاقة بين القارئ والنص من جهة وبين الصوت والصمت من جهة أخرى.

فالصمت عنده صنفان، أولهما: الصمت المقصود، ويشمل على ما يسميه النقص الخطي والوصف الصمتي وصمت الصوت، وثانيهما: الصمت اللامقصود، وهو الصمت الناتج عن تعدي حدود اللغة أو العجز عن التعبير.

وقد استفادت هذه الدراسة من تقسيم هيفل للصمت بوصفه إطاراً نظرياً مبدئياً ييسر فهم آليات السكوت داخل النصوص السردية غير أن طبيعة سلسلة أبابيل وما تتضمنه من خصوصيات فنية ودلالية استدعت إجراء بعض التعديلات على المسميات، واقتراح تقسيمات إضافية تواكب بنيتها السردية، فكان المعتمد في هذا البحث متناسباً والسياق الروائي المدروس. إذ تسعى الدراسة إلى توسيع أفق التناول النقدي بما ينسجم مع خصوصية النص.

وانطلاقًا من ذلك تم تصنيف تمثلات الصمت في السلسلة إلى نوعين رئيسيين هما:

أولا– الصمت المقصود : وهو الصمت الذي يوظف عمدا من قبل الكاتب لتحقيق غايات دلالية وجمالية «فهو الفراغ المكرس في النص كأنه استراتيجية سردية تترجم عما لا يروم المؤلف قوله» ومن أنواعه الواردة في السلسلة :

١– الصمت البنائي المقصود: وفيه يتجلى الصمت داخل البنية النصية من خلال وجود فراغات أو غيابات متعمدة تؤثر على تلقي النص وتسهم في انتاج الدلالة، وهذا الصمت البنائي يمكن أن يتوزع على ثلاثة محاور:

– النقص الخطي: ويقصد به الصمت الملاحظ من خلال الكتابة ذات الفجوات الفارغة، أي» الجملة الناقصة المتضمنة بياضاً، أو تشطيباً، أو اختصار حروف أولى من اسم علم، أو المنتهية بنقط تتابع...» فالصمت هنا يؤدي وظيفة فنية إذ يجعل القارئ أمام مهمة ملء الفراغات وكثرة التساؤلات مما يخلق انسجاماً بين النص والقارئ.

ومن أمثلة هذا النوع من الصمت في السلسلة الحوار بين جومانا ووالدتها» نعم يحبني ولكنني لا أريده أن يكتشف بعد كل هذه السنين الطويلة التي قضيتها معه، أنني.. أقصد أننا.. أعني أنكِ

لم تعد تعلم ماذا يجب عليها أن تقول لذلك فإنها أخذت نفساً عميقاً، ثم أكملت جملتها قائلة: أنتِ تعلمين مالذي أريد قوله بالضبط !!

_ لماذا تخجلين ؟! لا أحد يخجل من حقيقة أصله قولي له بأنكِ ...»

يبدو أن الكاتب أراد أن يثير في بداية الرواية وكونها الجزء الأول من السلسلة مجموعة من التساؤلات في ذهن القارئ عن أصل البطلة فاستغل الفراغات وكذلك يبدو أن (جومانا) لم ترد أن تفصح عن أصلها حتى بين من يعرفها خوفا من فقدان من تحب.

واستمر الكاتب في اعتماده أسلوب الصمت الخطي في خلق تشويق لدى المتلقي عن أصل البطلة :

– ولكني أريد أن أعرف من هو الملك جبار الذي قلتِ بأنكِ...

_ أريد أن أعرف لماذا كان الباب موصداً رغم أن المزلاج لم يكن ...»

فالكاتب يقتطع الجمل قبل أن تنتهي خدمة للدلالات التي يريدها ومنها تشويق وجذب المتلقي لإكمال النص في محاولة لمعرفة الحقيقة.

ومن النقص الخطي في السلسلة :

–إنها ابنة الأمير تليد وقد ...

–ابنة الأمير الذي أصاب والدك بزعافه؟!!»

فلشدة الدهشة وجب على الكاتب أن يعتمد الفراغات فلا مجال لإكمال الكلام أمام غرابته.

وقد يعمد النص إلى الفراغات لانعدام الكلام أو لقلة الزمن وهذا ما نلحظه في الحوار بين طاغين وأمه التي كانت على وشك مفارقة الحياة:

– أنا آسف يا أمي، كنت أريد أن ...

–سس .. لا تقل شيئاً.. أنا فخورة بك»

أو قد يعمد إلى الفراغات لإخفاء معلومة ما كأن تكون اسم شخص :» ثم همس لها بصوت منخفض يكشف لها عن اسم الخائن ... وما أن سمعت تارا بذلك الاسم حتى اتسعت عيناها وامتلأت غضباً ودهشة..»

وقد يعتمده حين لا يكون هناك جدوى من الكلام :

–أيها الرجل أرجوك أنقذ ابنتي إنها...

وتوقفت عن الكلام بعد أن تذكرت بأنه – لا ولن – ينتبه لوجودها

وكما في حديث عاصف مع العرافة :

–ماذا أيضاً؟!

–...

– تكلم ..

– وبماذا سيفيد الكلام ؟!

– سيخفف حرائقك؛ فالكلام الذي تخبئه يحرقنا من الداخل ..

– لكنه لا يعيد لنا الذين رحلوا ... أليس كذلك ؟!

– ...

– ثم قال حين طال صمتها ولم تجب عليه :

– أيتها العرافة إنه من الأدب أن نلتزم الصمت عندما نعلم جيداً أن الكلام لن يفيد بشيء»

وقد تأتي الفراغات في السرد التذكري، كما في حديث برقاء مع الحمامة :

– ألا يوجد بهما علامة مميزة؟!

– ...

– تذكري يا برقاء..

– بلى، كانتا شديدتي النقاء وكأنهما ...»

في رواية سجيل تبدأ صفحاتها الأولى بالنقص الخطي المعتمد البياضات ، فالصفحة الأولى تحوي كلمة « توقف» فقط ! لينتقل للصفحة التي بعدها بجملة « لا تعبر من هنا» وينتقل إلى الصفحة الأخرى «سوف يتبعك الموت إن عبرت» ثم يترك الصفحة الرابعة خالية تماماً محاولة من الكاتب أن يضفي عنصر الإثارة والتشويق ولا سيما بعد الأحداث التي جرت في الروايات الثلاثة السابقة من السلسلة.

– النقص الزماني: ويظهر حين يتم حجب الترتيب الزماني للأحداث، اذ تتجاوز الروايات في بعض المواضع مرور السنوات أو الشهور أو حتى الساعات دون توضيح، وإن عدّ هذا من ضمن النقص إلا أنه لا يضعف البنية بل يضفي عليها تشكيلاً ودلالة ذات طابع غامض مقصود يسمح للمتلقي بإعادة ترتيب التسلسل الزمني وفق تأويله الخاص، وهذا النوع برز بكثرة في سلسلة أباييل.

ففي رواية جومانا وهي الرواية الثالثة في السلسلة بعد أباييل والجساسة نرى أن الكاتب يبين في بدايتها وفي صفحة العنوان أن أحداثها تدور ما قبل الروايتين أعلاه. فكتب :

ملحمة الطين والنار :

أحداث ما قبل أبابيل

وتلاعبه بالأحداث من خلال الرجوع لأحداث سابقة ينتج فراغا زمنياً مقصوداً، يدفع القارئ إلى إعادة تشكيل خريطة الحدث الزمني، فيتحقق بذلك النقص الزماني البنائي والذي لا يمكن تجاوزه إلا بالعودة إلى النصوص السابقة زمنياً اللاحقة سردياً، وبذلك يعتمد الكاتب الصمت الزماني بوصفه آلية لإرجاء المعنى وتكثيفه.

ولا يقتصر الصمت الزماني على الجانب الخارجي الظاهر للقارئ على مستوى الشكل العام، وإنما تركز السلسلة على النقص الزماني داخل البنية السردية والذي يتمثل في حذف أو اختزال أزمنة من خلال القفز على مراحل زمنية داخل بنية النص. ومن أمثلته، تجاوز السنوات:

«كان الوقت متأخراً جداً من تلك الليلة الباردة ولم يتعود الطفل طوال سنواته العشر الماضية على الزيارات المفاجئة ..» فالصمت الزماني تمثل في السنوات العشر التي تجاوزها الكاتب وصمت عنها ولم ترد فيها أي أحداث. ومنه الصمت الزماني الخاص باستيعاب موقف ما :

«حدق الطفل فيه بحذر لأكثر من خمس دقائق مثل ملاكم في حلبة قتال يتحين قرع الجرس للهجوم على خصمه». ثم تقفز الأحداث على سنوات أخرى من عمر الطفل « لا أزال صغيراً فأنا في الرابعة عشرة من عمري فقط..»،والكاتب في تجاوزه للزمن يحاول أن يبين أن الأحداث التالية أكثر أهمية من هذه السنوات فلا داعي للوقوف الطويل عندها .

وفي بعض الأحيان يعتمد الكاتب هذه الاستراتيجية ليبين العلاقات الطويلة لكن دون الدخول في التفاصيل « إنه ورغم السنين الطويلة التي تفصله عن تلك الأيام إلا أن هناك ذكرى وحيدة كان لا يزال بوسعه تذكرها بشكل دقيق إنها صوت طرقات الباب تلك التي اختلف بعدها كل شيء»، ومن تلك الاستراتيجية ما ذكرته رواية الجساسة عن الحلف الذي عقد بين الملك قنديل والملك جبار بعد سنين طويلة لا نعرف تفاصيلها، وجاء ذكرها لان التفاصيل القادمة تتطلب الإشارة إليها :

– لماذا بعد ثلاثين عاماً من العداء والقطيعة أصبح الملك قنديل فجأة يريد عقد حلف معنا؟!

_ لأن مملكتنا اليوم ليست كما كانته قبل ثلاثين عاماً، والملك قنديل يعرف هذا الأمر جيداً؛ لذلك أرسل لنا اليوم طالباً عقد حلف معنا..»

ويلعب النقص الزماني دوراً كبيراً في التذكر وايجاز الأحداث:

«فقبل خمس سنوات تقريباً نجح طاغين وأتباعه من أفراد منظمة الجاثوم في الانقلاب على السلطة الشرعية للمملكة وقام بتنصيب نفسه ملكاً على أبابيل» .

وكثيراً ما يتم اعتماده لاختصار الأحداث :

« في الأيام التالية انضم الشيلمان لهما في التدريبات واستمر مع العرافة يدربان عاصف لمدة ثلاثة أعوام، مما صقل قوته الجديدة وجعله أكثر قدرة على التحكم بها» . فالكاتب وباعتماده أسلوب النقص الزماني أوجز مجموعة من الأحداث التي جرت خلال سنوات، واكتفى ببيان أن الغاية من التدريبات قد تحققت.

– النقص المكاني: ويتمثل بالصمت القائم على تغييب الأماكن أو تغييمها عمداً، من خلال إخفاء ملامح بعض الفضاءات أو ابهام ذكرها رغم أثرها البارز في الأحداث التي تدور فيها، وهذا من شأنه خلق صمت جغرافي يسهم في توتير البناء السردي وتعميق الغموض الفني والدلالي للنص.

يمثل الصمت المكاني في سلسلة أبابيل أحد أبرز تمثلات الصمت البنائي، إذ لا يقتصر على السرد الداخلي وحده بل يبدأ منذ عتبات النص الأولى من خلال العنوان، إذ تعتمد بعض أجزاء السلسلة على أسماء تحيل ظاهرياً إلى أماكن (أبابيل ، الجساسة) مما يحدث فراغا مكانياً تمهيدياً، يعمد على إثارة تساؤلات المتلقي ومنذ النظرة الأولى بوصفها أسماء غير معروفة مكانيا مما ينتج توتراً يدفع القارئ إلى البحث الدلالي عن طبيعة هذه الأمكنة وموقعها ودورها السردي، فهذا الفراغ المكاني يدعم عنصر التشويق ويهيئ لاستقبال سلسلة روائية سردية تبنى على التأجيل

والإيحاء والتغييم المكاني، ليبدأ النص بعدها تدريجياً بملء الفراغات المكانية من خلال تعريف أبابيل كمملكة قائمة، والجساسة كقرية تابعة لها، مع تعمد النص على إبقاء جزء من الغموض المكاني بوصفه خياراً جمالياً يعزز جماليات السرد الروائي المكاني.

وإن كان الصمت المكاني قد بدأ على مستوى العنوان فإن هذا التوجه قد استمر داخل المتن السردي، إذ يظهر النقص المكاني من خلال مجموعة من الأمثلة التي تختزل المكان، فمثلا نرى ذكر القرية دون توضيح:

«لم يكن القمر حاضراً في تلك الليلة المرعبة لذلك انتشرت النجوم في السماء على مد البصر، والقرية التي كان سكانها نائمين بدت في ذلك الوقت المتأخر جداً من الليل كما لو أنها مكان قديم هجره البشر ...» .

أو قد تذكر القلعة دون معرفة أي تفاصيل حولها :

«ما أن اقتربت من تلك القلعة الصخرية ذات الطابقين حتى سمعت صوتاً يشبه زمجرة أسد غاضب ... ولكن لأنها تريد التحدث مع صاحبة تلك القلعة بأي ثمن فإنها أكملت سيرها غير مكترثة بالتحذير..»

وعلى الرغم من أن المكان هو الفضاء الذي تدور فيه الأحداث إلا أن الكاتب اعتمد النقص المكاني كاستراتيجية يتخلص من خلالها من عناء تراكم العبارات ليصل إلى الحدث الأهم.

وتتردد داخل السلسلة أسماء لأماكن كثيرة منها على سبيل المثال، جبل غراب :

« عاصف سيأتي معي ... سأصعد به لقمة جبل غراب» ، «استعدوا سنذهب لجبل غراب ...» فلا معلومات عن هذا الجبل سوى أن كوخ العرافة يقع هناك، كيف ولماذا لا تفصح الرواية بل تعتمد النقص المكاني.

وقد يعمد النص لهذا الأسلوب لزيادة التشويق ودفع المتلقي لإكمال السلسلة وملء الفراغات:

« إنها ترمز إلى القوة التي حصلت عليها زوجتك سرابي.. وتلك القوة لا يمكن الحصول عليها إلا من ذلك المكان الذي أخبرتك عنه قبل قليل» .

فالنقص الخطي والنقص الزماني والمكاني عملت على بناءخطاب سردي مشحون بالإيحاء والتأويل.

٢- تمثلات الصمت في البنية الوصفية : ويمثل تعامل الراوي مع الصمت تعامله مع مشهد وصفي إذ يتجلى هذا النوع بكونه نمطاً سردياً يوظف لتكثيف الإيحاء دون الإفصاح اللغوي المباشر ويشمل عناصر متعددة، منها الطبيعة ،المعمار، الأشكال البشرية وغيرها، الأجواء، والمواقف الصامتة، إذ يتجسد الصمت من خلال تقديم مشهد غني بالصور التي لا تحتاج إلى تعليق بل تنطق بذاتها، فهذه المشاهد تقود المتلقي إلى ما وراء الصورة، فالصمت هنا أداة وصفية تغني الجو العام للمشهد.

وهذا النوع من تمثلات الصمت يشكل أحد أبرز أشكال التعبير غير المباشر في السلسلة وهو أحد أنواع الصمت المقصود الذي اعتمده الكاتب، ومن أمثلته في وصف الطبيعة:

«اتجهت شرقاً نحو الغابة التي لم يسبق لبشري من قبل أن دخلها وخرج منها حياً (الغابة المظلمة) وهي أرض فسيحة تغطيها الأشجار العالية المتشابكة تقع في منتصفها قلعة حجرية كبيرة ذات طابقين سكنتها قديماً عائلة ملكية من الجن اسمها (عائلة الأباطرة) ... دخلت الغابة من مرها الواسع والذي يشبه مدخل كهف كبير، غير مبالية بالأخطار التي تحفها أو ربما تحدث لها بالداخل.. كانت تسير بخطوات ثابتة وسط الظلام وحفيف اصطكاك الرياح بأوراق الأشجار، والأصوات الصاخبة لنقيق الضفادع والهسيس المنخفض لأجنحة الخفافيش» فوصف الغابة وما فيها يوحي بالرهبة لكن الكاتب أراد من خلال هذا الوصف أن يشير إلى أشياء تلفت المتلقي وتنبهه ليربط الأحداث فيما بينها دون أن يتكلم، اذن (جومانا) ليست من البشر لأنه وبحسب الوصف «لم يسبق لبشري من قبل أن دخلها» وتسكنها عائلة ملكية (الأباطرة) وهي نفس العائلة التي ذكرتها جومانا في بداية الأحداث، فالصمت الوصفي هنا أعطى معلومات تساعد على ربط الأحداث إضافة لوصف الشكل العام للغابة.

ومن وصف الطبيعة :

«كانت بلاداً شاسعة خضراء جميلة تكثر فيها المروج والغابات والأنهار.. وما كان يجعلها أكثر جمالاً وروعة هي تلك

البيوت المتراصفة المنحوتة في الجبال العالية والتي تشبه القصور في اطلالتها» .

ومنها :«...قرية كبيرة تتمركز فوق هضبة منبسطة عالية الارتفاع للحد الذي يخيل لمن ينظر إليها من بعيد أن أهالي تلك القرية كاموا يستطيعون لمس قرص القمر بأصابعهم لو أنهم اجتهدوا قليلاً في القفز إليه...» .

ومن وصف المعمار :» سار الطفل نحو البيت الذي أشار إليه أيوب كان بيتاً صغيراً صنع من الحجارة والطين وجذوع الأشجار، وكان منظره الصامت من قريب يوحي بأن لا أحد يسكنه ...» ومنها :»... سارت جهيمة بهما عبر أروقة القصر المضاءة بواسطة القناديل المشتعلة باللهب والمعلقة على الحيطان الصخرية، حتى توقفت بهما أمام غرفة حجرية كان بابها مصنوعاً من ستار قماشي، نقرت الأرض بحافرها ثلاثاً حتى تحرك ذلك الستار وخرج لهم من خلفه شخص أسود اللون كان له طول وعرض لا ينبغي لمخلوق بشري أن يمتلكها» .

ومنها وصف القصر: «لقد قام قدماء الأباطرة بلعن أسوار القصر بالكثير من الطلاسم مما جعلها أسواراً حصينة لا يمكن اجتيازها لذلك تمزق مقاتلينا حين اقتربوا منها لذلك الحد..

– وماذا عن الأبواب؟!

– إنها تتبع الأسوار.. لا يمكن الاقتراب منها وهي مغلقة ... .

فالصمت في وصف المعمار في الأمثلة الثلاثة السابقة لم ينتج عن غياب الصوت فحسب، بل عن توجيه الوصف نحو ما يخفي ليصبح المكان حاملاً لدلالات الصمت، فالبيت يجسد الصمت الخارجي من خلال انعدام الحياة وانغلاق المكان، أما ممرات القصر تنتج صمتاً شعورياً مشحوناً بالتوتر والترقب وتضفي الإضاءة طابعاً من الغموض، فكأنما كائن صامت يراقبهم.

أما الأسوار المحصنة فهي وإن لم تمثل وصفاً معمارياً هندسياً لكنها قدمت كقوة صامتة خارقة توحي بالرهبة، فالصمت هنا يتمثل من خلال تجاوب المكان مع عدم القدرة على التفسير والاختراق، مما يضطر المقابل إلى التحول لجدار صامت من التأمل والغموض.

أما وصف الأشكال فقد كثر في السلسلة ولعل السبب في ذلك يعود لاعتماد الكاتب السرد الخيالي والذي يجمع بين مخلوقات متنوعة، ومنه : «لحظات ثم تظهر لهم من بين الأشجار امرأة طاعنة في السن ذات قوام نحيل ووجه لا يزال يحتفظ بملامح جمال غابر، تملك عينين زيتونيتين أشبه بحقول أشجار زيتون مهجورة ولديها شامة تشبه القمر ترتسم على جبينها الطويل إنها (سربيل) عرافة مملكة أبابيل» .

ومنه: «تلا ذلك الصمت خروج شخص ما من بين السعالي: كانت الخارجة سعلوة هرمة اسمها(الغيساء) وقد كان لها ظهر منحن للأمام قليلاً، ومشية عرجاء بسبب عدم تناسق أطوال قدميها اللتين كانت احداهما إنسية والأخرى لحمار» .

ومنه :كان الطارق امرأة بدت أنها قادمة من عالم الموت، أصلها إنسيّ ولكنها لا تملك جسداً كما بني الإنس، فقد كان جسدها يخلو من الجلد والأعضاء الداخلية حيث يتكون فقط من هيكل عظمي أسود اللون تستره بأقمشة واسعة

فالشخصيات في الأمثلة تقدم من خلال ملامحها الجسدية مما يشكل وصفاً صامتاً للأشكال. إذ قد يستغني الكاتب عن الحوار أو الانفعالات الصوتية لصالح البنية الوصفية للشكل، فهو يمثل أدوات دلالية يسعى لها النص قد تعبر عن الغرابة أو الخوف أو الغموض وحتى التهديد كلّ بحسب وصفه وتشكيله الجسدي، فالحضور البصري يغني عن اللغة ويعطي القارئ تصوراً كاملاً عن الشخصية.

٣– الصمت الصوتي: يمثل أحد أبرز تجليات الصمت المقصود، ويقصد به «الصمت الإنساني من وجهة التلفظ، صمت الراوي مثلا والمروي له والشخصيات» ، فالصمت في هذه المستويات الثلاثة يمثل حضوراً فنياً دقيقاً يسهم في تكثيف الأثر وتحقيق الانزياح الدلالي من خلال إيجاد توازن بين ما يقال وما يترك للتأويل.

ومن أمثلته في السلسلة الحوار بين الحكيم وتاج :

_ ألم تجربي الحب يوماً؟!

_ لم تجب عن ذلك السؤال وصمتت طويلاً للحد الذي اعتقد معه الحكيم أن صمتها ذاك إشارة منها إلى رغبتها بعدم الإجابة» .

ومنه : «امتدت بينهما لحظة صمت طويلة وكأن الشيطانة روزانا تريد بفترة الصمت تلك أن تعطي فرصة لعاصف حتى ينسحب» .

وكذلك نجد الصمت الصوتي في حوار عاصف مع سرابي:

_ كيف أنت؟!

كان الغريب في الأمر هو أن سرابي لم تجبه، كل ما فعلته تلك اللحظة هو أن استدارت وابتعدت عنه.

قال يستوقفها وقد تعجب من ردة فعلها:

– سرابي؟!

واصلت ابتعادها بصمت، كانت تسير نحو حصانها الواقف إلى جوار فارسين ملثمين يعتلي كل واحد منهما صهوة جواده.. فعاد يناديها وعيناه مثخنتان بالجراح كما هو حال جسده:

_ سرابي أين تذهبين؟!!

لم تجبه للمرة الثالثة

ومنه صمت شخصية (الشمالي) على الرغم من غرابة الأحداث التي تدور حوله:

« لم يفهم الشمالي شيئاً وظل صامتاً تدور برأسه مئات الأسئلة ...» « ... كان يريد أن يسألها عن السر الذي جعله يتحول إلى ذلك المخلوق الغريب، ولكنه يعلم بأن الوقت لا يتسع لمثل هذه الأسئلة؛ فصَمَت رغم الفضول الذي كان يتقد في صدره مثل جمرة حارقة وأشار بأصبعه نحو عاصف...» .

فصمت الشخصيات في مواقف حوارية ينتظر منها رد فعل لفظي مباشر، تنتج دلالات سردية تدعو المتلقي لتأويل دوافعها من خلال الصمت لا من خلال القول. وقد يعتمد الكاتب الصمت الصوتي لأنواع مختلفة من الدلالات فمنها وكما في الأمثلة الواردة ما هو وجداني داخلي إذ يعجز الشخص عن التعبير تحت وقع الانفعال، ومنها ما يدل على التحفظ الواعي وهو صمت مقصود من قبل الشخصية التي تضمر موقفاً وتختار التكتم وعدم الإفصاح وتحمّل سكوتها دلالات واعية. ومنها الذهول الواعي والذي يتطلب من الشخصية التماسك وعدم الإفصاح.

ثانياً : الصمت اللامقصود أو الاضطراري: في مقابل الصمت المقصود والذي يصدر من وعي فني داخل النص، يظهر النوع الآخر من الصمت وهو اللامقصود أو الاضطراري وهو عند هيف يمثل «صمت النص الحقيقي ففيه يسكت الخطاب ويتحرر اللاوعي المقيد، فيرد المنطوق مبهماً ملتبساً ومفارقاً اللغة، ويتحول المسكوت عنه إلى قول لدى المخاطب الفطن من خلال المحتمل والضمني، ويتبدى المخاطب راغباً في البوح بسره، لكنه عاجزاً عن الصدع به تلفظاً. ولم يسبق له من سبيل سوى أن يؤسس في خطابه ما أمكن له من بؤر وثغرات» .

فهو صمت ينشأ عن العجز عن التعبير، أو سقوط المعنى في فجوات غير قابلة للتأويل الكامل «مما يحيل النص على الضمني واللامسمى وعلى ما هو أحرس في الوعي الباطني، أو المتوسط أثناء فعل التلفظ، ويكوناجماً عما لم يقدر المؤلف على قوله» .

ولعل الصمت اللامقصود من أكثر أشكال الصمت تعقيداً في بنية النص السردية، إذ ينطوي على تأويلات بعيدة قد تكون من الصعوبة بالنسبة للباحث كونه لا يصدر عن قرار واع من الشخصية أو الراوي، بل ينتج من الفجوات المتروكة أمام المتلقي بلا دلالات واضحة أو احالات تفسيرية مباشرة مما يترك القارئ في مواجهة مناطق معتمة ترتبط بانقطاع المعنى أو صعوبة الوصول إليه.

والصمت اللامقصود في سلسلة الطين والنار يمثل حضوراً دلالياً واضحًا، وقد يبدو في النص على شكل فجوات غير مفسرة أو انقطاعات مفاجئة يتوقف عندها المعنى، مما يخلق فراغاً يجبر المتلقي على تأويله، ومن أمثلته :

«كانت جومانا سلفاً قد حضرت كلمات العتاب التي ستقولها أمام زوجها عندما يعود من غيابه ولكن عندما جاء،

مات الكلام في صدرها ذلك أن كل معارك المرأة دائماً ما تنتهي بانتصارات الحب»، فهنا قد تغلبت المشاعر على اللغة، فعلى الرغم من توقع الكلام (العتاب) وامتلاء النية بالتعبير مسبقاً إلا أن فراغاً صمتياً ظهر فجأة مما أوجد فجوة دلالية عن ماذا كانت ستقول ولماذا صمتت، فالنص لا يجيب مباشرة بل يترك مجال التأويل متاحاً أمام القارئ.

ومنه الحوار الذي دار بين تاج وتارا:

– أعرف أنك لا تكذبين.

– اسألي إذاً.

– لماذا ذهبت لزيارة جومانا في تلك الليلة التي ماتت فيها ؟!

لم تجبها وزحفت مبتعدة.

–لا تديري لي ظهرك يا تارا أجيبي عن سؤالي، ما هو الشيء الذي دفعك للذهاب لبيت جومانا في الليلة التي ماتت فيها؟؟

أكملت زحفها نحو الغابة:

– لا أستطيع أن أخبرك

–ولماذا عساك لا تستطعين؟!

– لأنني لا أكذب والحقيقة لن تعجبك أبدا!!»

فالصمت هنا صمت دلالي ناتج عن رفض الإجابة لكنه ينتج فجوة سردية لا ارادية في بنية النص، فالصمت اللامقصود لا يبرز بسبب الجهل، بل بسبب الوعي بوقع الحقيقة وثقلها على المتلقي من خلال إيجاد فجوة سردية تفتح المجال أمامه للتأويلات مع عدم الإفصاح عن الحقيقة أو توضيحها مباشرة.

ومن الصمت اللامقصود ماكانت تخطط له تاج لسرابي، ويفهم من خلال الحوار بين تاج وتارا:

«ـ تساءلت تارا بلطف:

– انها تحبه كثيرا أليس كذلك يا تاج؟!

– أعدك بأن لا يستمر هذا الحب طويلا!!

التفتت تارا نحوها وتساءلت بقلق:

– ما الذي تخطيين لفعله هذه المرة؟!

– لا شيء – قالت تاج وصمتت...»

فصمت تاج عن الإجابة رغم نواياها الحقيقية والتي ستظهر لاحقاً يجعل المتلقي أمام فراغ دلالي تدفعه الى إعمال التأويل واستدعاء الاحداث اللاحقة لفهم دوافع الصمت.

ويتجلى الصمت اللامقصود في رواية سجيل لتصوير الحقيقة التي آلت اليها (سرابي) بعد غيابها الغامض والذي ترك أمام (عاصف) أسئلة ظلت الإجابة عنها صامته: «ترى ما الذي حدث لسرابي في ذلك الغياب الطويل وجعل منها فتاة أخرى؟!... تراها ما الذي كانت تعنيه حين قالت بأنها عائدة الى المكان الذي باتت تنتمي اليه؟!

ما هو سر قوتها الهائلة؟!

ما هو سرّ الوشوم التي ظهرت فوق حاجبها الايسر؟!

من هما الفارسان الملثّمان اللذان كانا معها؟!

والأهم من كل هذا هو:

ما الذي يجب عليه أن يفعله لكي يستعيدها

وعلى الرغم من أن الإجابة قد اتضحت عند عاصف بعد صفحات عديدة من الرواية: «جلس عاصف فوق المقعد اللصيق بحائط السجن وأخذ يصغي الى الكلام الذي بدأ طاغين بقوله له.. ومع مرور الدقائق اليسيرة..كان ضوء القمر يكشف علامات الدهشة والقلق والخوف الذي تظهر بانتظام على وجه عاصف ابن بحر وهو يصغي

الى ذلك الكلام، الكلام الذي يكشف الحقيقة المرعبة التي آلت اليها سرابي» .

فالاحداث تركت فجوة سردية صامتة لدى المتلقي أجبرته على الترقب، لاسيما بعد اعتماد النص مؤشرات صامتة ظهرت على عاصف كالقلق والخوف والدهشة.

ويستمر النص في صفحات لاحقة باعتماده أسلوب التشويق والترقب في قصة سرابي ويصر على اعتماده استراتيجية الصمت اللامقصود للبنية السردية: «بدأ عاصف يخبرها بالسرّ الذي أخبره به طاغين ، فجعل الأصدقاء ينصتون اليه ...»

وفي مثال آخر عندما يتحدث النص عن تحول(الشمالي) :» وما أن دخل الهواء البحري الى جوفه حتى تحولت قدماه الى ذيل طويل عليها بعض الوشوم المتوهجة التي ما أن شاهدها الحرس –حرس مملكة أغاريب – حتى أحنوا له رؤوسهم احتراماً وإكباراً.

كان يحق له أن يتساءل عن سر تحوله، لكن الموقف لم يكن مناسبا للدهشة أو البحث عن الأسباب ، كان هنالك أمر واحد يجب عليه القيام به تلك اللحظة ويجب عليه تنفيذه بسرعة..» .

فالنص يعتمد أسلوب الصمت، فمع هذا التحول المفاجئ كان من الطبيعي التساؤل والذهول، إلا أن السرد تجاوز ذلك وترك فجوة مؤجلة لصالح الحدث الأهم، فالصمت اللامقصود يظهر تحت ضغط الزمن السردي الذي يسدعي تأجيل الحدث لا نسيانه، وهذا النوع يمنح النص جماليات دلالية وتعبيرية ويسهم في جعل القارئ مشاركاً في بناء الحدث عن طريق التأويلات وملء الفجوات.

وقد يمثل الصمت اللامقصود تجلّ لحالة نفسية قصوى ويكون الصمت حينها ناتجا عن الصدمة، الخوف أو المواجهة، إذ يمثّل السكوت استجابة نفسية تلقائية سواء كان ذلك بسبب ألم دفين، أو تهديد وشيك، أو خوف من مواجهة لا تحتمل عواقبها، ففي هذه اللحظات تنسحب اللغة ليحل محلها الصمت الدلالي.

ففي رواية أبابيل يصمت(بحر) خوفاً على من يحب: «نظر اليها وابتسم محاولا أن يخفي عنها آبار أحزانه الجوفية، هو لا يستطيع أن يكشف لها أسباب الغياب بالطبع لأنه يعلم جيداً فظاعة ما قد يحدث لها ولابنه ان فعل ذلك، قال بتماسك مزيف:

_ لا استطيع البقاء!!»

وفي مثال آخر يظهر الصمت كنتيجة انفعالية مباشرة لا خيار فيها، إذ يقف الخوف عائقا أمام النطق « أتعلم ما الذي قد تفعله هذه الافعى بك لو أنها هجمت عليك؟!كان الخوف مسيطرا عليه للحد الذي جعله لا يستطيع أن ينطق» .

وقد تضطر الشخصية للامتناع عن الكلام خوفاً من تجسد الأقدار، فيلتزم الصمت كوسيلة للابتعاد عن الحقيقة: «امتنع عن الإجابة، لقد كان يخاف أن يكون القدر قريباً منه تلك اللحظة فيختلس السمع للكلام الذي سيقوله لها ذلك أنه عاش من المصائب ما يكفي ليدرك أن الأقدار تحيك لنا كل المخاوف التي في لحظة ضعف نضطر للبوح بها ..» .

وقد يكون الصمت خوفاً من فقدان الآخر : «كانت مترددة للغاية؛ إنها لا تريد أن تصمت فتؤذيه وفي الوقت ذاته تعلم أنها لو تكلمت فإنها قد تؤذي نفسها بخسارته، هي التي عاشت طيلة حياتها مطاردة لم يكن بوسعها أن تغامر بملاذها الوحيد.

مدت يدها الصغيرة الناعمة ووضعتها فوق يده الكبيرة القاسية وكأنها بذلك الفعل تعتذر له مقدماً عن خداعها» .

وقد يكون الصمت استجابة تلقائية لحالة الذهول والدهشة والذي قد ينعكس تأثيره على الطرف الآخر فيفسره بحسب وجهة نظره وهذا ما نجده في المثال التالي بين ميثم وجومانا:

« صمت ولم يقل شيئاً فقد كان لا يزال تحت تأثير الدهشة؛ أما هي فقد تأكدت أكثر – من خلال صمته المستمر – أنه خائف منها، فقالت لتنهي ما جاءت لأجله وتنصرف:

_ أريد وعداً بألا تخبر أحداً عما حدث داخل الكهف» .

وقد يتحول صمت الرهبة كبديل ناقل للمعنى من خلال الاستجابات النفسية للمواقف إذ تتجمد قدرة الشخص التعبيرية، وهذا ما حدث لجومانا عندما رأت ميثم و»دماء كثيرة كانت تنثال من جسده، وشبح الموت بأجنحته اللامرئية يطوف حول رأسه» فتجمدت اللغة عندما سألها:

_كيف ابنتي؟!

_كانت رعشة الخوف تكمم فمها، ولم تعد قادرة على الكلام» .

فتمثلات الصمت في هذه الأمثلة تندرج ضمن الصمت اللامقصود والناتج عن رهبة أو خوف ما، إذ يتوقف الكلام ويتحول الموقف إلى تجربة شعورية مكثفة تعجز اللغة عن التعبير عنها.

الخاتمة والنتائج:

كشفت دراستنا والتي كانت بعنوان تمثلات الصمت في سلسلة أبابيل(ملحمة الطين والنار) عن حضورٍ سردي مؤثر للصمت بوصفه أداة فنية ودلالية. وقد تنوّعت أشكال الصمت في السلسلة بين المقصود واللامقصود، وكل أدى دوره المطلوب منه وبحسب ما يتطلبه النص من دلالات . فالنص الروائي أثبت أن الصمت ليس فراغًا في اللغة، بل لغة بديلة تُسهم في بناء النص وتكثيف الدلالة.

أما نتائج الدراسة فكانت كالآتي:

– أظهر البحث أن الصمت ليس مجرد غيابًا لغويًا، وإنما يمثل عنصرا سرديا مقصودا، يعتمده النص لخدمة البناء النفسي والدلالي.

– يسهم الصمت في سلسلة أبابيل في توليد المعنى، وخلق التوتر، وفتح باب التأويل كما قد يعبر عن البعد الانفعالي للشخصيات وما فيها من لحظات الضعف أو الانكسار.

– يعتمد الصمت في السلسلة بوصفه استراتيجية سردية فاعلة، تتقاطع مع المكونات الروائية الأخرى كالزمان، والمكان، والشخصيات، والحوار، والوصف.

– يلعب الصمت دوراً حاسمًا في تطوّر الأحداث والشخصيات، إذ تتجمد اللغة، وتُفسح المجال للصورة الوصفية، والانفعال، والتأمل، مما يمنح النص بعدًا دلاليا تأويليًا .

المصادر:

١ – أبابيل ، أحمد آل حمدان، الطبعة الجديدة ٢٠٢١.

٢– البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر.

٣– الجساسة، أحمد آل حمدان، الطبعة الثانية ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م.

٤– جومانا ، أحمد آل حمدان ، الطبعة الأولى ١٤٤٤هـ – ٢٠٢٣م .

٥– دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ ، مكتبة القاهرة ، مصر.

٦– الرسائل ، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى ١٩٩١، دار الجيل ، بيروت.

٧– السجيل ، أحمد آل حمدان ، الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م.

٨– ما قبل الحرف.. ما بعد النقطة لأديب كمال الدين: حروفية الشعر من التجريب إلى حادث التجربة»، الكيلاني مصطفى ، المقال منشور ضمن كتاب الحروفي إعداد وتقديم مقداد رحيم، ط١ ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٩– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، جمال الدين بن محمد، تحقيق وشرح :عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ،الكويت.

١٠– مقاربات سردية، علي عبيد ، الطبعة الأولى ٢٠١٤، الانتشار العربي، بيروت، لبنان ،النادي الأدبي في منطقة الباحة، المملكة العربيةالسعودية.

١١– Pierre Van Den Heuvel; Parole, mot, silence: pour une poétique de ,bénonciation
Librairie José Corti

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon